المعنى وتشارك في بناء تركيب دلالي، متناولاً لهذا الغرض نصين مختلفين، أحدهما تقليدي والثاني فضائي.

وبعد إنجاز وصف شامل لاشتغال مختلف العناصر البصرية في النصين المذكورين وإمكانية اعتمادها في التناول حتى بالنسبة للنصوص غير الفضائية، انتهى إلى أن على سيميوطيقا النص الشعري. ـ حتى ولو كان تقليدياً ـ أن تدمج الوجه الخطي للدال في صلب اهتماماتها.

خلاصات

عرضنا فيما تقدم لبعض ملامح مواكبة المباحث المهتمة بالخطاب الشعري للاتجاه الفضائي في الشعر، وهكذا أمكننا رصد كيف أن كثيراً من المنظرين شعريين كانوا أو سيميوطيقيين، قد أدمجوا هذا العنصر البصري في سياق اهتمامهم العام بمظاهر الخطاب الشعري. ولم يكن الأمر مقتصراً في ذلك على النصوص المتميزة بالتوظيف، المكثف للمعطيات البصرية، بل تم توسيع إمكانية استثمار تلك المعطيات لتشمل حتى النصوص التقليدية التي أنتجت وفق السنن القديمة المتمركزة حول الطابع الصوتي للشعر.

هذه المواكبة النظرية لا يمكن فصلها، كما بدا ذلك واضحاً، عن التطور العام الذي عرفه المبحثان السيميوطيقي والشعري انطلاقاً من الإحقاقات الهامة التي أحرزتها علوم رديفة كاللسانيات وعلم النفس، إضافة إلى التأثير القوي للفلسفات الظاهراتية في صيغتيها الألمانية والأمريكية.

ومن خلال وجهات النظر المواكبة التي تم استعراضها يتبين الموقع المتميز للقراءة والتلقي، لأن الحركة التطورية التي أصابت الصيغ الشعرية، لم تكن تتم في معزل عن القراءة، وعن المسار التطوري العام في الفكر والعقليات وصيغ وجود الكائن اجتماعياً.

لقد عالجت وجهات النظر المذكورة الشعر من زوايا متباينة أحياناً ومتقاربة أحياناً أخرى. كما اختلفت الخلفيات التي تسند كل منظور على حدة. ولكن القاسم المشترك بينها يكمن في الإلحاح على أهمية المعطيات البصرية في تلقي جنس إبداعي وجد أصلاً لينتج ويستهدف في جوهره الغنائي والصوتي. ولعل لهذا الإلحاح ما يبرره إذا تم تبنيه في إطاره العام.

وإذا كان هذا حال الظاهرة الفضائية في الشعر والنقد الغربيين، فماذا عن واقعها في الشعر العربي والمغربي خصوصاً؟ هذا ما سنحاول تبينه في القسم اللاحق، بتتبع الظاهرة في إطارها النظري، ثم من خلال المواكبة النقدية، لنخلص في الأخير إلى معالجة نموذج نصي تأسيساً على ما سبق عرضه في الأقسام السابقة من هذا العمل.